أوضاع العبيد المعتقين في العصر الوسيط بالغرب الإسلامي

زينب محمد حامد. أستاذة متعاقدة. جامعة نواكشوط العصرية (موريتانيا

Situation des esclaves affranchis au Maghreb médiéval

Emancipated slaves' situation in the medieval Islamic Western Europe

contractual master, Nouakchott Al-asriya université(Mauritania)

زينب محمد حامد. أستاذة متعاقدة. جامعة نواكشوط العصرية (موريتانيا

zeynebou.medhamed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 15 – 02 – 2019 تاريخ القبول: 23 – 02 - 2019 تاريخ النشر: 28 – 05 - 2019

الملخص:

انطلاقا من تتبعنا لحياة المعتقين يتضح لنا انخراط المعتقين في الحياة الاجتماعية للمغرب والاندلس ودخلوهم في علاقات مصاهرة مع جميع شرائح المجتمع إلا أن هذا لم يساعد على ارتقائهم، إذ ان كان ينظر اليهم بنظرة دونية احتقارية مما أدى الى وجود خط فاصل بين المعتقين والأحرار.

أما في المجال الاقتصادي، ولم يقتصر دور المعتقين على المجال الحرفي، بل تعداه إلى الاشتغال في القطاع التجاري إذ أنهم كانوا يعرضون منتوجاتهم التي يقومون بصناعتها في الأسواق، قصد بيعها ومن بين هذه المنتوجات الخبز والسفنج والشواء والقدور وشعرية ومقروطورغائف وبيع أدوات الحياكة،كما أنهم كانوا يتاجرون في الحوت واللحم والمرجان والخشب،وكذا حمل السلع من بلد إلى بلد أخر. كما امتلكوا بعض وسائل العمل، مثل كراء أدوات البناء.

الكلمات المفتاحية:

الكلمات المفتاحية: أوضاع، عبيد، العتق، الغرب، الاسلامي.

المؤلف المرسل: زينب محمد حامد ، الإيميل:*taskourthyamina@gmail.com*

Abstract:

In studying emancipated slaves' life in medial Morocco and Andalusia, we can notice that they became integrated into social life and they had built up marital relations with all society, and despite this they did not move up to higher social positions. Accordingly, the former slaves were regarded the lowest in the social hierarchy, which led to a split between them and the freemen.

In the economic field, the former slaves did not confine themselves to handicraft, but they traded as well, proving several products for the market such as bread, fried meat, sponges, pots, weaving tools, in addition to fish, meat, corals, timbering and building materials, as they practiced street trade too.

Keywords : conditions, slaves, emancipation, West, Islamic.

مقدمة:

عرفت بلاد المغرب قديما حضورا لافتا لما اصطلح عليه تاريخيا بفئة المعتقين ، وهم عبيد تم انتشالهم من مستنقع الرق، و لعبوا أدوارا لا يستهان بها في التاريخ، وساهموا في خلق فئة اجتماعية جديدة في الغرب الإسلامي، خلال القرنين(5 6 هـ/11 . 12 م)، التي شكلت صنفا مميزا في المجتمع. ولقد تنوعت واختلفت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تبعا لاختلاف مكاسبهم ومهاراتهم خلال فترة عبوديتهم وكذا علاقاتهم بأسيادهم القدامى .

إذا هل ساهم العتق في إدماج فئة المعتقين في المجتمع؟ أم ان هناك بعض المميزات والممارسات التي ساهمت في إبراز هذه الفئة كفئة جديدة لها ما يميزها عن باقي الفئات الأخرى، و هل كانت هذه المميزات تقف حاجزا أمام دمجها أو تجعل الدمج أمرا صعبا؟. وفي إطار مساهمتنا في موضوع "المعتقين" سنقف على أوضاعهم في الغرب الاسلامي(الاقتصادية والاجتماعية والثقافية و السياسية).

أ- النشاط الاقتصادي للمعتقين:

رغم شح المعلومات عن الأدوار التي لعبها المعتقون في المجالات الاقتصادية. إلا أن هذا لن يجعلنا نغفل أوضاعهم الاقتصادية بالغرب الإسلامي وكذا النشاطات الاقتصادية التي كان يزاولها المعتقون .

اشتغل المعتقون في الغرب الإسلامي خلال القرنين6.5وه/11و12م، بالعمل الزراعي مع أسيادهم القدامى مثل مولى احد رجالات الصوفية الذي كان يعمل تحت آمرة معتقه حيث يقول " **مربي مولاي أبو العباس والوادي لا ماء فيه فقال لي: اذ جاء السيل في الوادي فاخرج منه ما تسقي به أرضا** "[1] وفي هذه الحالة تكون وضعية المعتقون الاقتصادية شبيهة بوضعيتهم أيام العبودية و متوقفة على جود مالك الأرض. كما اشتغل المعتقين في البستنة داخل المدن و لدينا إشارة في غاية الأهمية تفيد إشراف معتق يدعى 'أبا الفضل' مولى للأمير المرابطي 'يوسف بن تاشفين' على بستان الوحيد الذي كان بمراكش في بداية تأسيسها[2].

وقد توفرت للمعتقين خبرات و مهارات حرفية واسعة، أهلتهم لامتهان أعمال متعددة، حيت احترفوا الدباغة وحياكة الجلابيب ونسجها و الخرازة والحجامة.كما أنهم مارسوا مجموعة من الصنائع كصنع كسوة الجياد وسبك الحديد وآلة الحرب وصنعة النحاس وصناعة الفانيد ثم صناعة آلات الطرب والضرب للدنانير والدراهم وحلي النساء. والى جانب ذلك صناعة الأدوية بالأعشاب وبيعها. بالإضافة إلى أنهم تولوا أعمال وضيعة يعزف عنها الناس عادة، كالقيام بحمل الموتى وحفر قبورهم وكذا توليهم حراسة الأسواق بالليل والفنادق، والخدمة في الحمام وسقاية الماء، وكذلك اضطلعوا بأعمال شاقة ومرهقة مثل حفر الآبار والتعدين.

ولم يقتصر دور المعتقين على المجال الحرفي، بل تعداه إلى الاشتغال في القطاع التجاري إذ أنهم كانوا يعرضون منتوجاتهم التي يقومون بصناعتها في الأسواق، قصد بيعها ومن بين هذه المنتوجات الخبز والسفنج والشواء والقدور وشعرية ومقروط ورغائف وبيع أدوات

---

[1] .ابن الزيات التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف**،ص140.

[2] . عبد الاله بنمليح، الرق في بلاد المغرب و الأندلس، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت،الطبعة الاولى،2003.،ص35.

الحياكة،كما أنهم كانوا يتاجرون في الحوت واللحم والمرجان والخشب، وكذا حمل السلع من بلد إلى بلد أخر[3].

وقد استطاعت فئة قليلة من المعتقين، الوصول إلى الملكية، إذ امتلكوا بعض وسائل العمل، حيث كانوا يقومون بكراءها، مثل كراء أدوات البناء.كما نتوفر على إشارة وحيدة، تفيد وصول هذه الفئة إلى امتلاك عقارات مهمة مثل امتلاك لبيب مولى احد اللمتونين فندق بمدينة مراكش كانت تمارس فيه الدعارة[4]، مما يفسر ان هناك من المعتقين من حاول جمع ثروته بطرق غير مشروعة .

وتسمح لنا هذه النماذج القليلة بخصوص وصول فئة المعتقين إلى الملكية، بالقول أن هذه الفئة عرفت تهميشا وإبعادا عن ممارسة دورها بالتحكم في الملكية ووسائل الإنتاج.

و بالإضافة الى ان هناك من المعتقين من كانت وضعيته الاقتصادية جيدة بسبب إعانة سادتهم لهم ماديا مثل عتق امرأة عبدها واتخاده ولدا لها ومنحته مالا كثيرا.

ويدفعنا حضور المعتقين في جميع القطاعات الاقتصادية الى القول بانهم شكلوا طاقة محركة للإنتاج والاقتصاد في الغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط.

ب ـ مكانة المعتقين في مجتمعات الغرب الإسلامي:

يعتبر المعتقون جزءا لا يتجزء من مجتمع أسيادهم القدامى، الذين تربطهم معهم رابطة اجتماعية، ألا وهي رابطة الولاء[5]، التي تحد نوعا ما من حرية المعتقين، وتفرض بقوة نمطا من التبعية بين المعتوق والمعتق، وينص هذا الولاء على حقوق متبادلة بين المعتوق والمعتق تتمثل في حق ميراث التركة عند عدم وجود الوريث كحق للطرفين ويشمل كذلك دية القاتل كحق للمعتوق عند عجزه عن الدفع، ووكالة المعتوقة في الزواج.

---

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثانى (510هـ-546هـ/1116م .1151م) تاريخ سياسي وحضاري**، دار الغرب الاسلامي، بيروت ط1 1408هـ/2002م ، ص 283.284

[4] .عبد الإله بنمليح، **الرق في بلاد المغرب والأندلس**،، ص35.

[5] . عز الدين عمر موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري**، ص 120.

وقد حظي المعتقون في الأندلس بمكانة رفيعة، حيث لم يكن مركزهم يقل في شيء عن مركز الأحرار الأصليين، وذلك بسبب تنوع العصبيات وانقسامها، وقد علت منزلتهم بعد قيام الدولة الأموية في قرطبة إذ شغلوا وظائف كبرى كادت تقتصر عليهم ويرجح الدكتور 'عز الدين عمر موسى' ان **"هذا الوضع المتميز(للمعتقين) هو الذي حدا بالرازي إلي وضع كتاب أعيان الموالي في الأندلس "** إلا انه مهما ارتفعت منزلتهم فإن نظرة بعض فئات المجتمع إليهم ظلت نظرة ازدراء واحتقار، كاحتقار 'أبي الوليد بن جمهور ' صاحب قرطبة، لسواجات **"مولى ليحيى بن علي بن حمود اشتراه من رجل حداد من سبي برغواطة...وخلف سواجات مولاه بسبتة "** ونعته بالجاهل رغم أن فعله لا يدل على ذلك وهذا يظهر من قول' أبي الوليد بن جمهور' إذ قال **"وردت علي من الكتب في اليوم الواحد كتاب من ابن صمادح صاحب ألمرية يطلب جارية عوادة، وكتاب من ابن عباد يطلب جارية زامرة وكتاب من سواجات صاحب سبته يطلب قارئا يقرأ القرآن...وعجب أبو الوليد من ذلك وقال جاهل يطلب قارئا وعلماء يطلبون الأباطيل[6]"** ونتوفر كذلك على واقعة تاريخية مبكرة عن الفترة المدروسة، تؤكد تلك النظرة الاحتقارية التي عانى منها المعتقون و تتجلى هذه الواقعة في استئثال العرب في قرطبة تولية مهمة القضاء الجماعة لأحد المعتقين وهو القاضي 'عمرو بن عبد الله بن ليث القبعة مولى ابنة عبد الرحمن بن معاوية'، حيث بلغ الأمير محمد ذلك فقال **"وجدت فيه ما لم اجد فيهم"** الشيء الذي دفع العرب على القول **"أما القضاء فإن لا نعترض فيه ،لأنه من سلطانه ،أما الصلاة فإنا لا نصلى وراءه "**[7] .

ويتضح من نوازل النكاح، التي وردت عند الونشريسي في كتابه (المعيار المعرب) بعض المعلومات حول أنواع زواج المعتقين في الغرب الإسلامي، والذي كان يتم بطرق شرعية وبتوفر جميع شروط المتعلقة بالزواج الشرعي كإعطاء الصداق لزوجة، لكن للأسف من خلال هذه النوازل لم نصادف إلا نوع واحد هو زواج الحر بمعتوقته ،وغالبا ما يكون الزواج بالحر

---

[6] ابن عذارى، **البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س. كولان، ا.ليفي بورفنسال، دار ثقافة، لبنان، الطبعة الثالثة ،1983، ،جزء3 ص251

[7] حسني القروي، **قضاة قرطبة**، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب المصري ،دار الكتاب اللبناني،ط2 1989م ،القاهرة، بيروت،ج 6 ،ص146.

الغاية منه، هو التقرب من الوسط أو المكانة الاجتماعية للسيد الذي أنجز العتق، مثل قيام رجل بعتق جارية له وتزوجها بصداق معلوم[8]، ونظيره رجل تزوج بمعتقته و أصدقها جل ماله[9].

إلا أن هذا لا يعنى عدم وجود مصاهرات داخلية بين عناصر الفئة أي عتيق يتزوج عتيقة خصوصا أن هذه الفئة لم تحظ باهتمام المؤرخين بصفة عامة ولذلك ربما كانت هناك علاقات مصاهرة بين عناصر هذه الفئة وبما أن هذه العلاقة يسودها نوع من التكافؤ الاجتماعي فإن نسبة نجاحها تكون كبيرة بالمقارنة مع النوع الأول من زواج المعتقين بالأحرار، وهذا ما يفسر حضور هذا نوع الأخير في النوازل بكثافة، وعدم حضور النوع الثاني.

ولا نتوفر كذلك على معلومات حول طبيعة العلاقة التي جمعت بين مختلف عناصر فئة المعتقين. هل هي علاقة تضامن والتحام، أم علاقة تضارب وتنافر؟، لكن يمكننا أن نقول إنها كانت علاقة تضامن وتلاحم نظرا لان التجربة التاريخية برهنت على أن الفئات التي تعيش نفس الوضعية على هامش المجتمع، تتكاتف وتتضامن من أجل تغير الوضعية أو على الأقل لتسهيل العيش في مجتمع مليء بالفوارق الطبقية.

وتعتبر السرايا بمثابة معتقات لأن تحولهن إلى أمهات أولاد يسقط قيمتهن التجارية وتمنح لهن الحرية ويصبحن بمثابة زوجات لأسيادهن لهن عليهم حقوق يجب احترامها وهذا يفهم من جواب احد الفقهاء في نازلة طرحت عليه **"عمن له أم ولد طلبها أن تخدم والده فامتنعت وطلبت نفقتها وان لا تسكن مع أبويه وزوجته في الدار التي هما بها "** فكان جوابه ما يلي **"إنما له فيها الخدمة مثل ماله فيها، ويلزمه نفقتها، ولا يجبرها على الإسكان مع زوجته لأجل ما يجري في الغالب بين الضرائر وتحمل الغيرة وله إسكانها مع أبيه إلا أن تثبت هي وجها من الضرر"**[10]، ويستفاذ من هذه النازلة أن المعتقات تعرضن للمضايقات

---

[8] أبو العباس احمد بن يحي الونشريسي ، ***المعيار المعرب والجامع ا لمغرب عن فتاوى أهل افريقية و الأندلس والمغرب***، جزء 3، ص157

[9] .**المعيار**،ص125.

[10] المعيار للونشريسي، جزء3، ص303.

ولضغوطات اجتماعية ونفسية قاسية. ولدينا نازلة أخرى تؤكد ذلك بخصوص امرأة حرة رفضت جمعها مع أم ولد و ألحت على زوجها أن يطلق سريته[11].

هكذا يلاحظ أن هناك نوع من الحساسية تجاه المعتقات بدأت تطفو في المجتمع الغرب الإسلامي وعلى الرغم من ذلك لاشك أن بعض السرايا نعمن بحياة اجتماعية كريمة سواء اللاتي عشن داخل قصور الأمراء أو الخلفاء أو داخل منازل الأعيان و الأثرياء وعامة المجتمع المغربي ويشير لسان الدين بن الخطيب في فترة متأخرة من الدراسة إلى حسن معاملة السرايا، فذكر عن احمد بن محمد بن شعيب الكرياني بمدينة مراكش و المتوفى عام 749هـ/1347م بأنه تسري بجارية رومية اسمها صبح كانت من أحسن الجواري جنسا فأدبها حتى لقنت حظا من العربية، ونظمت الشعر وكان شديد الغرم بها.

وهذا التزاوج المستمر بين المعتقين وباقي طبقات المجتمع يؤدي إلى نسيان المعتقين لانتمائهم السلالي، وعدم إحساسهم بضرورة الرجوع إليه، ويؤكد طرحنا هذا اننا لم نصادف في بحثنا هذا أي إشارة تفيد محاولة المعتقين البحث عن أصولهم لرجوع إلى مواطنهم الأصلية، وكذلك يؤدي إلى وصول بعض المعتقين إلى الشرعية الاجتماعية.

كما أن هناك من المعتقين من استطاع بناء حياة جديد بعيدة عن حياة العبودية دون الاتكال على مالكه القديم وقطع كل الصلات التي تذكره بالعبودية و أصبح عنصرا فعالا في المجتمع مثل مولى احد رجالات الصوفية الذي كانت الإشارة قد تمت إلية في الترجمة 'لأبي زكريا يحيى بن محمد بن عبد الرحمن التادلي والذي عزم على التوجه إلي مكة **"فوجد بمصر مولى كان قد اعتقه فأتى يوما إلي أبي زكرياء بستين دينار فأبى قبولها منه وقال له : إنما احتاج أن تكتري لي جملا يوصلني إلي مكة ،فاكتراه له فوصل إلي مكة"**[12] وهذا إنما يدل على قدرة المعتقين على الاعتماد على ذواتهم للتكيف مع حياة الحرية.

ولقد ظل المعتقون متأثرون بماضيهم وتبعاته التي تنغص عليهم حياتهم الجديدة خصوصا إذا ما كانوا قد أنجبوا أولادا قبل العتق اذ كان هؤلاء الأبناء محكوم عليهم بالرق وتصف لنا

---

[11] .ابن رشد، **البيان والتحصيل**، ص375.

[12] ابن الزيات التادلي ،**التشوف إلى رجال التصوف**، مصدر سبق ذكره، ص246.

إحدى النوازل معاناة امرأة معتقة لها ابنة مملوكة أرادت أخذها معها إلى بعض البلدان فلم يسمح لها[13].

وخلاصة القول ان فئة جديدة تشكلت في المجتمعين المغربي و الأندلسي خلال القرنين (5 و6 هـ/11 و 12م) تربطها مع الفئات الأخرى علاقات ولاء يصبح بموجبها الأسياد طرفا في التعريف بالمعتقين ومن جهة الأسياد يصبح هذا الولاء جزءا من تراث العائلة ويظل شاهدا على كرمهم. اذ كان هناك من الاسياد من يحترم هذا العتق ويعمل على تقوية هذه العلاقة بالدخول في علاقة مصاهرة مع من اعتق وهناك أيضا من لا يحترمه مما يؤدي إلى معاناة المعتقين . لهذا لا يمكن الحديث عن إدماج كلي للمعتقين في المجتمع ولا عن تهميش مطلق، ويمكن التميز بين فئتين من المعتقين :فئة اندمجت وتمتعت مثل فئة الأحرار وكانت لها الثروة و المكانة العلمية و السياسية و فسحت لها فرصة لارتقاء الاجتماعي، بينما ظلت فئة أخري تعيش على الهامش مهضومة الحقوق.

ج ـ مساهمة المعتقين في الثقافة:

كان من بين المعتقين من يتمتعون بثقافة واسعة في شتى المجالات، نظرا لكونهم تلقوا تعليما مكتملا عندما كانوا عبيدا في الاغلب، إذ سعى تجار الرقيق إلى تكوينهم من اجل بيعهم بأثمنة مرتفعة، ومثل ذلك فعل 'محمد بن الكتاني المتطبب' الذي كان يتاجر في الإماء بعد أن يعلمهن الكتابة و الإعراب وغير ذلك من فنون الأدب[14]. بالإضافة إلى حرص السادة خاصة حكام الأندلس على تربية و تثقيف عبيدهم ليحصلوا على مستوى ثقافي لائق ارتقى بهم إلى مصاف العلماء والأدباء مثل دفع المنصور بن أبي عامر لمولاه مجاهد العامري إلى تعلم القرآن والحديث والعربية[15]، حتى أصبحت له مكانة علمية رفيعة خاصة في علم العربية وعلم

---

[13]. الونشريسي ،**المعيار**، مصدر سبق ذكره، ج 9 ص،224 .

[14]. عبد الإله بنمليح ، **الرق في بلاد المغرب والأندلس**،ص451.

[15] عبد الرحمن بن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر**، تحقيق خليل شحادة ، سهيل زكار، دار الفكر ،بيروت ، ،1421هـ. 2000م ،جزء 4،ص211

القرآن، وجمع من الكتب القيمة ما لم يجمعه احد من نظرائه، واستمر المجاهد في نشر العلم في الجهات التي كانت تابعة له حتى فشي في جواره وغلمانه[16].

و نعتقد أن كثيرا من المعتقين أخذوا العلم عن سادتهم القدامى، ورووه عنهم سواء قبل العتق او بعده، أمثال 'أبي الحسن سعد' مولى 'المشاور أبي عبد الله يحيى' الذي روى عن مولاه ورحل إلى المشرق وحج إلى مكة.

وقد لمع العديد من الموالي في الحياة الثقافية بالمغرب و الأندلس خلال القرنين 5 و 6هـ/11 و 12م، وبرزوا في حقول معرفية متنوعة، وكان لهم فيها مساهمات مهمة.

ففي حقل الفقه، نبغ العديد من المعتقين و نذكر منهم ،'أبا قاسم خلف المعروف بالبربلي مولى يوسف بن بهلول'، سكن بلنسية، وكان فقيها بارعا **"حافظا للمسائل، وله مختصر في المدونة حسن،جمع فيه أقوال أصحاب مالك، وهو كثير الفائدة، وكان ابو الوليد هشام بن أحمد الفقيه يقول: من أراد أن يكون فقيها من ليلته فعليه بكتاب البربلي"**[17]. ومن بينهم كذلك أبو عمر احمد بن رشيق العلبي من أهل بجانة توفى سنة 446 هـ[18].

و اشتهر بعض المعتقين بالنبوغ **في ميادين اللغة والشعر والأدب**، أمثال 'أبا مروان احمد بن عبد الله بن بدر مولى أمير المؤمنين المستنصر بالله' من أهل قرطبة فنبغ في النحو واللغة وكذا الشعر، وقد توفى سنة 423هـ[19]. واشتهر أيضا في حقل الشعر حبيب بن احمد بن محمد بن نصر بن غرة سان مولى الامام هشام بن عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالسطحيري، من أهل قرطبة[20].

أما في **حقل علم التاريخ** فقد برزت أسماء من المعتقين كانت لهم مساهمات هامة لا يمكن ان يتجاهلها احد، ومن هذه الأسماء، 'حيان بن خلف بن حسين بن حيان بن حمد بن وهب

---

[16] .محمد المنوني، "**ثقافة الصقالبة**" ،**مجلة المناهل** ،العدد 31،الرباط، دجنبر 1984، ص192.

[17] أبن بشكوال، **كتاب الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلائهم ومحدثيهم وفقهائهم وادبائهم** ، ص 166.

[18] .**نفس المرجع السابق** ،ص 57.

[19] **نفس المرجع السابق** ،ص 45.

[20] .**نفس المرجع السابق** ، ص 152.

بن حيان مولى عبد الملك بن مروان' سكن قرطبة، وقد قال عنه ابن بشكوال **" قوي المعرفة مستبحر الأدب بارعا فيها صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أفصح الناس وأكثرها نظما له"**[21].

د. الدور السياسي للمعتقين في الغرب الإسلامي:

استفاد المجتمعان المغربي والأندلسي من وجود المعتقين في الحياة السياسية، إذ تولوا شؤون البلاد والعباد واضطلعوا بمهام عسكرية وإدارية حازوا فيها على ثقة رجال الدولة.

أقدم رجال الدولة على عتق عبيدهم الذين التمسوا فيهم الوفاء وكانوا موضع ثقتهم ، وذلك لتقليدهم مناصب إدارية وسياسية رفيعة ومن اخطر تلك المناصب منصب الحجابة الذي برهن فيه المعتقون عن جدارتهم مثل، موالي الخليفة يعقوب المنصور ،عنبر وفضيل وريحان الذين تولوا منصب الحجابة[22]. وكذا منصب الوزارة حيث لدينا إشارة مبكرة عن الفترة المدروسة بخصوص تقلد المعتقين لهذا المنصب في الأندلس مثل زياد بن أفلح مولى الناصر عبد الرحمن بن محمد الذي كان من وزراء الدولة العامرية وصار من كبار رجالاتها[23]. بل أكثر من ذلك شارك المعتقون كرجل دولة في تسير شؤون البلاد ففي دولة بني زيري بافريقية تولى الحسن بن على الزيري الحكم وعمره 12سنة فقام بأمره مولاه صندل تم مولاه موقف.[24]

ولعب المعتقون كذلك دورا خطيرا، في إمارة بني الأحمر وتجلى هذا الدور في قيام الحاجب رضوان مولى السلطان أبي الحجاج بأمر ابن مولاه حيث استبد **"بأمره وغلبه وحجبه"**[25]

كما كان للمعتقين حضورا بارزا في **المجال العسكري** حيث كانوا ضمن الجيش المغربي والأندلسي. إذ شاركوا في العديد من الغزوات في العهد المرابطي وأسهموا في توسيع مناطق

---

[21] .**نفس المرجع السابق** ،ص150. 151.

[22] .عبد الاله بنمليح ،**الرق في بلاد**، مرجع سبق ذكره، ص505.

[23] .ابن الأبار،**الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ،الطبعة 1985،الجزء 1، ص 278.

[24] .عبد الإله بنمليح، **الرق في بلاد المغرب والأندلس**، ص506.

[25] عبد الرحمن ابن خلدون، **مصدرسبق ذكره**، ص 223

نفوذ الدولة، مثل مشاركة القائد 'أبي حمامة مولى بن سقوط' في غزو إمارة ابن عباد في عهد الخليفة المرابطي 'يوسف بن تاشفين '.

وكان المعتقون في عهد الموحدين ينضمون إلى الجند بعد العتق مثل ضم الخليفة عبد الله الموحدي أسرى ميرقة الذين عفا عنهم[26]. وفعل نفس الشيء الخليفة المنصور الذي ضم الأغزاز الذين عفا عليهم،كما سبق الذكر وضمهم إلى الجيش الموحدي ووضعهم على الثغور الأندلسية إذ برزوا في الأعمال العسكرية، هذا دفع الخليفة إلى توليتهم على بعض أقسام الولايات، شعبان الغزي والذي غدا واليا على بسطة [27].

أما في الأندلس فقد لعب المعتقون دورا عسكريا مهما إذ برزت أسماء عسكرية توالت على قيادة الأساطيل التي غزت بلاد الافرنج مثل 'موفق' وجاء بعده 'كوثر' مولى 'الحكم المستنصر' ثم بعد هذا الأخير تولى مقاتل من موالي المنصور **"الذي كان كثير الغزو والجهاد"**[28] بالإضافة إلى 'واضح' الفتي قائد يحيى بن إسماعيل بن ذي النون الذي هزم الإسبان الذين هاجموا طليطلة .

كان للموالي الصقالبة في الأندلس دورا بارز في الحياة السياسية في الاندلس بالخصوص، إذ مثلوا طبقة اجتماعية متميزة تكونت من المعتقين والموالي المجلوبين من الخارج، وأصلهم من الرقيق الخاص بخدمة الخليفة [29] واستخدمهم الخلفاء الأمويون في الأندلس للحد من نفوذ الأرستقراطية العربية في الحكم، وإضعاف سيطرة الجند من العرب والبربر، وقد ولاهم مناصب سامية في الدولة الأموية، فاستقلوا ليصبحوا أرباب سياسة ورياسة. لكن سرعان ما انقلبوا عليهم و بدأوا يشاركون في الفوضى و الاضطراب، وتظهر أهميتهم السياسية

---

[26]. عبد لواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص131،132.

. عز الدين عمر موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري** ، ص125. [27]

[28]. ابن خلدون ، **مصدر سبق ذكره**، ص211.

[29]. احمد بن خالد السلاوي الناصري ،**كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق أحمد الناصري وخالد الناصري**، منشورات وزارة الثقافة والاتصال ،تحقيق احمد الناصري ،2001،ج 2، ص 199.

والعسكرية من خلال فصول إحدى الرسائل التي وجهها الخليفة الأموي 'سليمان بن حكم' إلى الموالي الصقالبة حيث عمل على استقطابهم بقوله **"لا نؤثر عليكم ولا نثق إلا بكم"** ثم وعدهم بقوله: **"نزيد في العطاء ،ونترككم بمواضعكم التي ارتضيتموها ،تدر عليكم جباياتها ، وتخصكم منافعها ،ولا ننسئ في أموركم إذا سمعتم وأطعتم"**[30].

احتل المعتقون مناصب رئاسية في الدولة بالغرب الإسلامي[31]، مما أهلهم للوصول إلى السلطة و النجاح في إقامة كيانات سياسية في الأندلس خاصة في شرقها من بينهم نذكر:

. بشير أحد موالي عبد الله المرتضى الذي استقل بحكم جزر البليار عن علي بن مجاهد العامري صاحب دانية

.'المجاهد العامري' مولى 'لأبي عامر محمد بن أبي عامر' أصله رومي ،استقل بمدينة دانية سنة 400هـ/1010م،ثم ألت من بعده الى ابنه 'على بن مجاهد وتلقب بالموفق .[32]

. الفتى العامري يدعى صدوم الذي استقل بحكم إمارة بلنسية وشاطبة وألت من بعده إلى مبارك ثم إلى فتى عامري لبيب واستقطبت هذه الإمارات موالي المسلمين من أجناس مختلفة [33]. وفي المغرب وصل احد المعتقين كذلك إلى السلطة هو سواجات الذي كان مولى ليحيى بن على بن حمود اشتراه من رجل حداد وهو من سبي برغواطة حيث ولي حكم سبتة بعد مولاه.[34]

ابن عذارى، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان ،ليفي بورفنسال، دار ثقافة، لبنان، الطبعة الثالثة ،1983 ،ج 3،ص250

---

[30] .عبد الإله بنمليح ، **الرق في بلاد المغرب والاندلس**، ص 479 .

[31] ابن خلدون، مرجع سبق ذكره، ص،182

[32] .عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،ص52.

33 .عبد الاله بنمليح ،**الرق في بلاد المغرب والاندلس**،ص532.

34_ ابن عذارى، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان ،ليفي بورفنسال، دار ثقافة، لبنان، الطبعة الثالثة ،1983 ،ج 3،ص250 .

مارست أمهات الأولاد نفوذا كبيرا في الحياة السياسية داخل بلاطات الأمراء ،وكثيرا ما كن يشاركن في المؤامرات مع رجال البلاط ورجال الدولة[35] ،وكن يتنافسن طمعا في العرش لأولادهن ،و نذكر من تلك الأمهات 'طروبا' زوجة 'عبد الرحمن الأوسط' التي كانت تريد لابنها 'عبد الله الوصول إلى العرش رغم انه ليس اكبر أبناء 'عبد الرحمن 'سنا وعملت ما بوسعها لاستمالة العامة والخاصة من اجل ولدها، وكانت تسخر الأموال التي تجمعها من الأمير لذلك الغرض[36]. ومن السريات اللائي برزن في البلاط 'المنصور بن أبي عامر' مؤسس الدولة العامرية بالأندلس نجد 'الزلفاء' أم ولده 'عبد الملك المظفر' التي تذكر المصادر أنها كانت السبب في قيام 'محمد بن عبد الجبار' بثورته ضد 'عبد الرحمن شنجون' ، اخ ابنها 'عبد الملك المظفرالأصغر'، وذلك نتيجة اعتقادها أن موت ابنها المظفر كان مدبرا من طرف أخيه عبد الرحمن شنجون [37]. واحتلت السريات كذلك مكانة رفيعة في الحياة السياسية داخل البلاط المرابطي مثل زوجة 'علي بن يوسف' أم ولده 'سير' التي كنت تدعى 'قمر' وكانت قد سعت إلى صرف ولاية العهد من تاشفين إلى إسحاق، ويمكن القول نفس الشيء بالنسبة للبلاط الموحدي، فقد لعبت أمهات الأولاد ادوارا سياسية مهمة مثل الدور الذي اضطلعت به حبابة زوجة المأمون وأم ولده 'الرشيد في وصول ابنها إلى الحكم اذ كتمت خبر وفاة 'المأمون' وأبلغت رجال الدولة المقربين بالخبر ونظمت عملية نقل الحكم لابنها وهادنت روم العاصمة مراكش بأموال [38].

ويتضح لنا من خلال ما سبق أن حضور المعتقين في جميع مناحى الحياة الاقتصادية و الاجتماعية ، و الثقافية والسياسية في الغرب الاسلامي.

ففي المجال الاقتصادي، توغلت هذه الفئة في جميع القطاعات الاقتصادية ابتداء من العمل في الارض الى امتهان الحرف و الاشتغال في التجارة.كما اشتغل بعض المعتقين في منازل

---

[35] راوية عبد الحميد شافع ،**المرآة في المجتمع الأندلسي**،ص 105.

[36] .راوية عبد الحميد شافع، **مرجع سبق ذكره** ،ص 103.

[37] .**نفس المرجع السابق**، ص 125.

[38] .جمال طه ،**حياة الاجتماعية**، ص147.

اسيادهم القدامى نظرا لعدم معرفتهم بأية حرفة.م ما دفعنا الى القول ان المعتقين شكلوا طاقة محركة لاقتصاد.

و في المجال الاجتماعي، فقد احتفظ المعتقون بولائهم لأسيادهم القدامى الذين صعب على بعضهم تقبل وضع الجديدة و ظلوا يعتبرونهم عبيدا لهم ، مما ترتب عنه معاناة مستمرة للمعتقين، اما البعض الثاني فقد جمعتهم علاقة طيبة مع عتقائهم وحاولوا تامين حياتهم.

وانطلاقا من تتبعنا لحياة المعتقين يتضح لنا انخرط المعتقين في الحياة الاجتماعية للمغرب والاندلس ودخلوهم في علاقات مصاهرة مع جميع شرائح المجتمع الا ان هذا لم يساعد على ارتقائهم ،اذ ان كان ينظر اليهم بنظرة دونية احتقارية مما اذى الى وجود خط فاصل بين المعتقين والاحرار.

أما فيما يخص المجال السياسي، لاحظنا مشاركة فعالة للمعتقين في الحياة السياسية والعسكرية اذ برزوا كقادة سياسيين ورجال إدارة محنكين فضلا عن قيادتهم الجيوش وتحملهم مسؤليات المواجهات الحربية كل هذا أهلهم للوصول الى السلطة.

وفي المجال الثقافي، الذي كان فيه للمعتقين مكانة رفيعة بسبب تمتع بعضهم بمعرفة واسعة اكتسبوه قبل وقوعهم في الرق او اثناءه بلغ المعتقون درجة عالية من العلم أدت بهم الى اقتحام مجال التأليف والكتابة .

ان مساهمة المعتقين الاجتماعية والاقتصادية وكذا السياسية والثقافية أدت الى تلاقح وتمازج حضاري ترتب عنه إغناء المجتمعين المغربي والاندلسي.

وفي الاخير فإننا لا ندعى الاحاطة التامة بموضوع المعتقين حيث انه ما يزال في حاجة الى المزيد من التقصى والدراسة.

قائمة المصادر والمراجع:

. ابن الأبار القضاعي البلنسي (ابوعبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر) ،الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ،الطبعة 1985،الجزء 1.

. الونشريسي (أبو العباس احمد بن يحيى)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية و الاندلس والمغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، 1401هـ1981م.

. ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ ائمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، تحقيق عزت العطار الحسن، مكتبة الخانجي ،القاهرة ،الطبعة الثانية (1414ه/1994م)،الجزء 1.

. ابن خلدون(عبد الرحمن) ،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة ،مراجعة سهيل زكار، دار الفكر ،بيروت، لبنان،1421ه.2000م ،جزء 4.

. ابن عذارى، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان ،ليفي بورفنسال، دار ثقافة، لبنان، الطبعة الثالثة ،1983،جزئين 3.1.

. أحمد بن خالد الناصري ،كتاب الاستقصا أخبار دول المغرب الأقصى ،تحقيق احمد الناصري،،منشورات وزارة الثقافة والاتصال،2001، الجزء 2.

. الخنشى القروي ،قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، مكتبة الأندلسية،مجلد6.

. جمال طه، الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصري المرابطين والموحدين)،دار الوفاء ،الإسكندرية، الطبعة الأولى 2004.

. راوية عبد الحميد شافع ،المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الطبعة الاولى ،2006.

. عبد الإله بنمليح، الرق في بلاد المغرب و الأندلس، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ،الطبعة الاولى،2003.

.عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ليدن ، 1881.

. عز الدين عمر موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،الطبعة الثانية ،1424ه.2003م.

.عصمت عبد اللطيف دندش، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني(510 ه 546ه/1116م.1151م) تاريخ سياسي وحضارة، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى 1408ه1988م.

_ ابن رشد القرطبي، البيان والتحصيل ،تحقيق احمد الشرقاوي إقبال، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،الطبعة الثانية 1408ه.1988م.

_ شارل اندري جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة ،الدار التونسية،تونس،1969 .

المجلات:

. محمد المنوني، ثقافة الصقالبة، مجلة المناهل، الرباط، العدد 31،سنة11، ربيع الثاني 1405،دجنبر 1984.

_ ابن الزيات التادلي (ابو يعقوب يوسف بن يحيى) ،التشوف إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي ،منشورات كلية الآداب والعلوم *الإنسانية بالرباط* ،الطبعة الثانية ،1997